

مقدمة

من عادة الكتاب في الشؤون العامة أن يستهلوا حديثهم بأن يصبغوا أحوال بلادهم بألوان سوداء قائمة ، كي يتخذوا من ذلك وسيلة لإقحامهم على معالجتها ؛ وما كنت لأعدل عن هذه العادة لولا أن أحوالنا الحاضرة أضحت تنطق بنفسها عما نحن عليه ، وقد شغل فكرنا جميعاً بعلامات الضعف في النظام السياسي والقومي ، ومظاهر التفكك الاقتصادي والاجتماعي . وشاهدنا في السنتين الأخيرتين على الأخص اهتماماً عظيماً بمشاكلنا الداخلية في جرائدنا ومجلاتنا ومحاضراتنا وفي حديث الناس عامة ؛ وترجع هذه الظاهرة الجديدة في حياتنا القومية ، على ما أظن ، إلى أننا على أثر اكتساب حريتنا الوطنية انتقلنا إلى عصر جديد في تاريخنا ، حتى بدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومي أصبح الآن في أيدينا ، وليس لأحد سوانا أن ينظّمه ويكوّنه . وقد غطت قضية الاستقلال خلال العشرين عاماً الماضية على شؤوننا الداخلية إلى حد ما ، وصرفتنا عنها بحيث خيل إلينا أنها على درجة من الرقي مقبولة ؛ وكم كانت خيبتنا عظيمة حين عدنا من الشؤون الخارجية إلى الشؤون الداخلية ، فوجدناها في منتهى الضعف والتقهقر .

وحالة مصر في الحقيقة لا تدعو إلى الاطمئنان : فأمامنا اضطراب مستمر في الحياة القومية ، وأزمة محققة في الآداب العامة ، ومشاكل اقتصادية واجتماعية قد تصل في القريب العاجل إلى الحد الأقصى من الخطورة . وليست تلك العوامل

بمخافية على أحد ؛ وقد أوجدت عند بعضنا شيئاً من التشاؤم في المستقبل ، وانتشر القلق في صفوف الشعب ، من فلاحين يشعرون به ولا يفهمون أسبابه ، إلى مثقفين ومتعلمين يرون الأخطار في جلاء ويتوقعون تضخمها في السنوات القادمة . غير أن علامات الضعف والتفكك لا تظهر على صورة واحدة لكل منا ، ولم نبحث وراء تلك الدلائل الخطيرة والعديدة عن الأسباب الأصلية التي عملت على تكوينها وظهورها . وكان لعدم تعودنا مواجهة تلك الشؤون المعقدة أن أخذنا ندرسها وتناقش فيها منفصلاً بعضها عن بعض ، ولم نفطن إلى وحدة الحياة القومية وإن بدت مختلفة المظاهر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً .

زد على ذلك أن عدم الاستقرار السياسي والإداري يجعل الوزارات التي تتوالى على كراسي الحكم غير قادرة على أن تعد برنامجاً للإصلاح والتقدم ، وتواصل تنفيذه منسقة بين مختلف التدابير الحكومية وغير الحكومية . حتى أن سرعة التقلب السياسي وكثرة المشاكل الوطنية وتعقدتها تبعد رجال السياسة والإدارة عن الأغراض البعيدة التي كان يجب عليهم ألا يفارقوها أبداً ، وتجرحهم نحو المجادلات الحزبية والمسائل الوقتية أو الثانوية ؛ فتظهر تلك المجادلات وهذه المسائل بمظهر هام جداً كلما قربت وضاق الوقت عن حلها ، مما يؤدي إلى قرارات غير محكمة وحلول غير كاملة ، فتبقى سياسة الدولة عديمة التواصل كثيرة التردد والتقلب .

وليس الغرض من هذا البحث أن تدرس جميع المسائل التي تواجه الدولة المصرية في الوقت الحاضر ، ولا أن نستعرضها واحدة بعد أخرى ونقترح حلاً

وتديراً لكل منها ؛ بل الغرض أن نلقى نظرة إجمالية على كافة مظاهر النشاط القومي مع التدقيق في العوامل الأساسية التي أدت إلى تضخم مشاكلنا ومصاعبنا؛ ثم نرسم بعض الخطط العامة التي يحسن العمل على مقتضاها لمعالجة هذه الأخطار. وإلى جانب ذلك نبين حاجتنا الحيوية إلى الوحدة والتناسق والتواصل في سياسة الحكومة لتكفل تقدم الأمة سياسياً وقومياً ، وتضمن علاج ما يمكن علاجه من أحوالنا الاقتصادية والاجتماعية .

وإذا كانت سماء مصر ملتبدة بغيوم الأخطار الخارجية والمصاعب الداخلية ، فجدير بنا ألا نرهب هذا أو نخشاه ، ولنطمئن على كل حال إلى ما في قلوب المصريين من عزم وشهامة وإخلاص في خدمة الوطن . ولقد اتفق أول عهد مليكنا المحبوب مع شروق شمس الاستقلال الوطني الذي قضى الشعب المصرى قروناً يتطلع إليه ، فأصبح عهد « فاروق الأول » حلقة اتصال بين مفاخر مصر القديمة وآمال مصر الحديثة ؛ والله نسأل أن يهديننا سبيل التقدم والفلاح .

القاهرة في أكتوبر سنة ١٩٣٨